

التشكيك في إبداع المرأة.. واقع أم تجن؟!!

دمشق - «الوطن»:

اعتادت مجتمعاتنا العربية - وما زالت - على أن الإبداع حق حصري للرجل، أما المرأة التي حاولت اختراق هذا الحق من خلال إبداعها الأدبي والثقافي فترمى - في معظم الأحيان - بألسنة هذا المجتمع وشائعاته، خاصة إذا بدر منها ما قد يبدو خارقاً بالنسبة للآخرين، فهنا تكاثرت الشائعات ويتجدد البعض للتقليل من شأن ما قدمته، مثلاً من خلال اتهامها بأن إبداعها ليس من صنع يديها، وإنما من صنع رجل ما، ولم تنتج بعض الأسماء الشهيرة من هكذا اتهام، وقد كانت أحلام مستغانمي آخر المتهمات حينما حققت روايتها "ذاكرة الجسد" نجاحاً يفوق التصور، فاتهم نزار قباني ومن ثم واسيني الأعرج ومن ثم مالك حداد ليستقر الأمر على سعدي يوسف بأنه هو صاحب الرواية الحقيقي، وذلك نظراً للتشكيك بقدرتها على كتابة مثل هذه الرواية، أما هي فقد ردت على كل هذه الاتهامات قائلة: إن النجاح اعتداء على الآخرين لأنه يكشف فشلهم، ولا يخفى على أحد أن مثل هذه الأقاويل والشائعات تتعرض لها الكثيرات في أيامنا نظراً لازدياد حضور المرأة في الساحة الثقافية والأدبية.. وقد حاولنا في هذا التحقيق استطلاع آراء بعض المبدعين حول حقيقة هذه الشائعات وأسبابها فكانت الإجابات التالية:

يصف الناقد الأدبي د. خليل الموسى هذا الاتهام بالباطل إلا إذا قدمت الدلائل بوضوح كامل، لأن المرأة برأيها إنسان كالرجل تعمل وتكتب وتبدع، إضافة إلى الإحساس الذي يميزها عن الرجل، ويرى أن طبيعتها أقرب إلى حقل الكتابة من الرجل، لذلك يرى أن الشائعات التي يطلقها البعض حول إبداع المرأة غالباً ما تكون بعيدة عن الصحة، وهي بالأصل تضر بمطلقها أكثر من المرأة، كما لا ينبغي د. الموسى أن هناك كتابات أنثوية مبدئية يجتاحون إلى المساعدة من كتاب معروفين، ويشير إلى أنه إذا كانت التهمة الموجهة إلى الإناث لمجرد أنهن عرضن أعمالهن على بعض الكتاب المعروفين بقصد المشورة، فهذا برأيه أمر مختلف ويحدث حتى في الجامعات، حيث لا يجد الباحث غشاضة في ذلك، أما الأمور التي يعتبرها د. الموسى غشاذة كأن يكتب أحدهم لهذا فهذا أمر لا يقاس عليه، وهو أيضاً متوقع ولا ينطق ذلك على الكتابات فقط وإنما على الكتاب الرجال أيضاً، وخاصة في الأبروجات الجامعية، وهذا يحدث في جميع أنحاء العالم، أما في الحالات الشاذة حين تحاول امرأة أن تلصق باسمها صفة كاتبة تحت إغراء الشهرة والمكانة الاجتماعية، فإنها تلجأ إلى الطرق الملتوية إذا كانت لا تمتلك مؤهلات الكتابة، ويؤكد د. الموسى أن هذه الحالات لا يمكن لها أن تستمر وهي على الأغلب تقدم كتابات بلا هوية.

وفي ظل الأدب د. حسن حميد أن تخوين المرأة واتهامها بأنها قاصرة عن الفهم والعقلانية والكتابة الإبداعية، هو تخوين يصدر عن نوات ذكورية مريضة، ويعتقد أنه أن الأوان كي يتعالج أصحاب الأمراض الذكورية ويكفوا عن اتهام المرأة وتخوينها، ويشير إلى أن المرأة كاتبة اجتماعية كامل العصرية والحضرة والمهوية والمكافئة، لا بل قد يكون له من النياقة على كينونة الرجل بما لا يقاس، ويبين أن ما كتبه سهر الكلماري مثلاً يعادل في الفهم والمعنى تجارب الكثير من العقول الفكرية التي كانت متفوقة عليه في التجريد: "إن عقلها عقل فرد وليس أنثى، ولم أتحصيا أسمى مثلاً هو التعصب الذكوري الأعمى الذي ينظر إلى المرأة بوصفها أنثى فحسب".

ويشير د. حميد إلى أن بعض المواهب الأنثوية التي لم تستقر بعد على قلماتها، قد تلجأ أحياناً إلى الرجل من أجل أن يكون مرآة لنصها، وإن كانت هذه النماذج قليلة وضلعة وليس لها شمولية لتأخذ المرأة إلى مثل هذا الاتهام أو التخوين، وإن كان يعترف أنه أيضاً يعرف الكثير ممن لا يعرف ألف باء الثقافة قد أصدرن الكثير من الكتب بأقلام وجير الآخرين، إلا أن هذه الكتب - كما يشير - تظل كتباً فارغة، ويؤكد أن المرأة الكاتبة التي لا ثقة لها بنفسها هي التي تلجأ إلى الرجل الذي قد يكون أحياناً أقل شأناً وموهبة وثقافة منها، والسبب في هذا اللجوء، كما يوضحه د. حميد يعود إلى أن الثقافة الأبوية التي عاشتها المرأة داخل الأسرة والمجتمع والتي تنطق في شعار "ظل الرجل ولا ظل حائط" هي التي تجعلها تلجأ إلى الرجل لقناعتها بأنه أكثر فهماً وإبداعاً وثقافة منها، ويجزم د. حميد أن التجارب الحقيقية في الكتابات النسائية: كولييت خوري وبغداد السماان وناييا خوست وعائشة عبد الرحمن ورضوى عاشور وسحر خليفة وأنيسة عبود.. وغيرهن، لم ينك أحد في كتاباتهم ولم يتعرضن لمثل هذا الاتهام، وبالمقابل توجد أسماء نسائية كثيرة فاقدة للثقافة بنفسها، تستعين بأقلام الآخرين لتخرج منها كتابات بلا هوية أو جمالية أو شخصية، ويعتقد أن هذه الكتابات تريد شيئاً واحداً هو الظهور الاجتماعي وليس الفني، وشأن ما بين الظهورين، ويعرف د.حميد كما يعرف الكثير من أبناء المهنة أن هؤلاء الكتابات يدفنن ثمناً باهظاً مقابل ما يحصلن عليه من الآخرين، وهذا ما يجعله ينهي كلامه قائلاً: "قيامه الأدب لا تتم إلا بالأدب، وقيامه الفن لا يجلوه سوى الفن".

ولا يوافق الكاتب نصر الدين البحرة على هذه الاتهامات الموجهة للكاتبات، ويعتقد أن هذه الاتهامات إن وجدت فإنها حصيللة كتابات معقدة لأناس مقنعين، ويتساءل البحرة من كتب لكاتبة كبيرة مثل ألفت الأدبية وغادة السماان وكولييت خوري، وهن أسماء إبداعية استطاعت أن تكون جزءاً أساسياً من الحركة الثقافية والأدبية وقد أثرتين حياتنا وأثرن فيها، ولأن الأمر لا يخلو من بعض الاستثناءات، يذكر البحرة أنه في عام ١٩٥٤ أجرت مجلة "النقاد" مسابقة فازت بها امرأة أصبحت اسماً معروفاً بعد ذلك وقد اتهم حينها أديب كبير بالكتابة لها، وقد اعترف هو بذلك فيما بعد بما وجه إليه من اتهام، ويعتقد البحرة أن ما يدعوا أديباً كبيراً لفعل ذلك غالباً ما تكون صداقة عميقة أو في حالات أخرى مقابل الحصول على أجر لقاء ذلك، وهذا يعني بالنسبة للبحرة أن هناك ثمناً يدفع لذلك، ويوضح أن مثل هذه الظاهرة موجودة في جميع أنحاء العالم، ففي بعض الدول الأجنبية مثلاً يوجد أشخاص متخصصون في كتابة بعض أطروحات الدكتوراة للرجال والنساء، ويرجع البحرة أن رغبة بعض الكاتبات في الشهرة والظهور هي أحد الأسباب التي تجعلها تلجأ إلى الرجل ليكتب لها نصاً أدبياً.

ويشير الشاعر د. نذير العظمة إلى أن صناعة الأدب والفن قد ألفت ظلال الشك حول شهرة بعض الأسماء الأخرين بلغة إبداعية، ويرى أن هذه الحالة ليست مرتبطة بمجتمعاتنا فقط، بل هي حالة موجودة في كل الآداب، وإن اختلفت الأسباب، ويعتقد أن اتهام المرأة بهذه الأمور يعني وكأن المرأة ليست بمستوى أهلية الإبداع، في حين أن الرجل هو القادر على الإبداع.. من هنا تسود نظرة اتهام للمرأة حتى ولو كانت مبدعة، والعظمة أن كتابات كبيرات اتهمن في فترة من الفترات بأن هناك من يكتب لهن من قبل الرجال تحديداً، ويؤكد أن معظم هذه الاتهامات تبدو بعيدة عن الصحة،



■ حسن حميد



■ خليل الموسى



■ نذير العظمة



■ نصر الدين البحرة



■ مريم خير بك



■ لبنى ياسين

اللباس والحركة، إلا أن ذلك برأى الخش ظل يسير ضمن مواكبة العصر فقط، وحتى لا يقال عنّا في المجتمعات المتحررة إننا نعيش تحت خط التخلف والجهول، في حين ما زلنا نعيش في مستوى هذا الخط تماماً، وإلا لحدث التغيير اللازم لصورة المرأة في أذهان الرجال عندنا، ولأصبحت مكانتها حقيقية وفعالة وليست فقط صوراً تصدر الإعلان.. وتؤكد خلف المرأة إنسان تام مثلاً الرجل إنسان تام، ولا أحد مثل الآخر لا فيزيولوجياً ولا نفسياً، لكن المرأة مخلوق خلاق وتستطيع بفكرها ومواهبها وحكمتها ومحببتها أن تقدم الكثير لمجتمعها. وتتساءل الخش: هل يستطيع أحد أن يعطي الآخر المهوبة؟ وهل تحتاج المرأة ذات المهوبة إلى رجل يكتب لها؟ من يصدق هذا؟ المرأة منذ أن تعلمت أحرف الكتابة تستطيع إن توفرت لها المهوبة.. أن تكتب وأن تبعد أديباً، وهي ليست بحاجة إلى مهارات أحد.

كما ترى الكاتبة سلمى اللحام أن قلة الوعي وضيق الأفق هو الذي يجعل بعض الرجال ينكر على المرأة أن يكون لها أي دور في المجتمع، فيعمد إما إلى التقليل من شأن إبداعاتها والتهمج عليها، أو يعدد إلى الإدعاء الباطل والكاذب بوجود رجل خلف الستار يكتب لها، والهدف برأى اللحام هو إحباط المرأة المبدعة وتشويه سمعتها لكي تنكفي وتبتعد، وتعتقد اللحام أن مقولة المرأة أشد عداوة للمرأة من الرجل فيها جزء من الحقيقة، حيث تتجاهل المرأة الكاتبة في بعض الأحيان من قبل المرأة أيضاً، لأن الأنانية والغيرة النسائية والحسد وضيق الأفق والشعور بالعجز وعدم المقدرة على الكتابة وتقديم أي عمل أدبي يدفعها إلى اتهام بنات جنسها بأن هناك رجالاً يكتبون لهؤلاء المبدعات، وبالمقابل توضح اللحام أنه ليس من الواقعية بمكان أن ننفي نفيًا قاطعاً وجود كاتبات يكتب لهن رجال من وراء الستار: "فهن موجودات وإن كنّ قلة.. وهذه التهمة برأيهما لا تقتصر على النساء فقط، لأن هناك أيضاً رجالاً يوجد من يكتب لهم إما للحصول على أجر معين أو بهدف تأمين بعض المصالح، مشيرة إلى أن الثمن الذي تدفعه المرأة يبعث أكبر، وتؤكد اللحام أن مثل هذه الحالات إن كانت موجودة على أرض الواقع فهي عبارة عن تزوير وغش وتضليل، وتشير إلى أن قاعدة من يبيع نفسه لأن ذلك خطوة لمنحدر تتبعها خطوات إلى قاع بلا نور".

ورسالة أخرى من يوسيه إلى روايتي شاب ربما يكون مقترضاً لبرغم من قيمة هذا العمل ويشرح معانيه الدقيقة بعد أن دخله كل من هب وذب، وتؤكد السوسو أن الزمن في النهاية هو القاضي العادل الذي يحكم بموت هذه الأعمال والأوركسترا التي تراقفها. أما الشاعر شوقي بغدادي فيؤكد أن مثل هذه الأمور تقع أحياناً: "وقد مر معي أحدها شخصياً في عهد الشباب حين فزت ذات مرة بإحدى المسابقات الشعرية في سوريا بالجائزة الأولى، وفازت بالثانية أو الثالثة كما أذكر إحدى الفتيات لم أسمع باسمها إطلاقاً من قبل، وكانت تصيدتها لطيفة فعلاً.. وبعد ذلك عرفت أن أديباً معروفاً كان صديقاً لي نظمه لها، وقد باح لي بذلك السر ولا داعي لذكر اسمه أو اسمها.. وامرأة أخرى أصدرت ديواناً كاملاً تأكدت فيما بعد أن شاعراً معروفاً (ساعدها) في نظم قصائدها.. ولكن هذه الظاهرة - برأيه - تقف عادة عند سقف محدود بعد عمل أو عملين لا أكثر، ثم يطويها المنيان.. أما ما يحدث الآن مع كاتبات مشهورات أثبتن حضورهن الإبداعي المتميز في أعمال متعددة، فهو كما يشير بغدادي ليس أكثر من إشاعات واختلاعات بروجها بعضهم لأغراض خاصة، كما قيل مثلاً حول الروائية أحلام مستغانمي في روايتها الأولى "ذاكرة الجسد" وغيرها من أسماء نسائية، في حين أن مستغانمي أثبتت حضورها الإبداعي في الروايات الأخرى التي نشرتها، وهذا ينبغي ما وجه إليها من اتهام. في حين تبدأ الروائية أميمة الخش كلامها قائلة: استطاعت نساء كثيرات أن يبرزن عبر الزمن ويثبتن وجودهن على الرغم من كل الظروف القاسية، فكانت هنالك الفيلسوفة والشاعرة ومدبرة الصالونات الأدبية وحاكمة البلاد، وهناك هيباشيا اليونانية والخنداء العربية وخديجة بنت خويلد ومي زيادة وهدي شعراوي.. وغيرهن كثيرات.. وتعتقد الخش أن العصر الحديث أعطى (في مجتمعات كثيرة) للنساء الكثير من الحريات، فأثبتت المرأة وجودها في مناحي الحياة المختلفة، ولكن ظل ينقصها شيء واحد هو التحرر الداخلي الذي ينقص الرجل أيضاً، وهكذا فالأمر.. كما تؤكد - متعلق بحرية الإنسان بشكل عام.. أما في مجتمعاتنا العربية فعملية التحرر كما تراها لا تزال بطيئة جداً لأن أصابع الرجل عندنا لا تزال بقوة على القناع الذي وضعه على وجه المرأة الحقيقي، ورغم أن المرأة درست وخرجت أكثر النساء للعمل، وبدأن يشعرون بنوع.. وإن كان بسيطاً - من الاستقلال الاقتصادي، ومارست بعضهن أيضاً قدراً من الحرية الاجتماعية في إبداء الرأي وفي

خليل الموسى: المرأة برأيه إنسان كالرجل تعمل وتكتب وتبدع

حسن حميد: أن الأوان كي يتعالج أصحاب الأمراض الذكورية ويكفوا عن اتهام المرأة وتخوينها

نصر الدين البحرة: ظاهرة موجودة في جميع أنحاء العالم

نذير العظمة: صناعة الأدب والفن ألفت بظلال الشك على شهرة بعض الأسماء حول ما قدموه من إبداعات

لبنى ياسين: خصوصية وضع المرأة في مساحتنا الجغرافية يجعل البعض من أصحاب العقول المفلتة يتعامل مع إبداعها بشيء من التشكيك

مريم خير بك: مسيرة المرأة المبدعة في مجال الكتابة وتطورها هو أفضل رد على هذه الاتهامات

نهلة السوسو: كل ما أثير حول انتحال بعض الكاتبات لأعمال أدبية يكشف في أحد جوانبه عن إشباع غريزة النامية

شوقي بغدادي: مثل هذه الأمور تقع أحياناً، وقد مر معي أحدها

أميمة الخش: المرأة مخلوق خلاق تستطيع بفكرها ومواهبها وحكمتها ومحببتها أن تقدم الكثير لمجتمعها

سلمى اللحام: قلة الوعي وضيق الأفق يجعل بعض الرجال ينكر على المرأة أن يكون لها أي دور في المجتمع